تعامل الأنبياء(عليهم السلام) مع الطواغيت في القرآن الكريم (دراسة تفسيرية)

م. م علي سلمان جبر

الكلية التربوية المفتوحة – مركز كربلاء

Alisalman28040@gmail.com

The Prophets' (peace be upon them) Approach in Dealing with Tyrants in the Holy Qur'an (An Interpretive Study)

Assistant Lecturer Ali Salam Jabr
Open Educational College – Karbala Center, Iraq.

المُلَخَّصُ

من المفاهيم التي اعتنى بها الإسلام ورسّخها في نفوس أبنائه مفهومُ الصفح وحُسن المعاملة، بل تجاوز ذلك إلى الدعوة لعدم ردّ الإساءة بالإساءة، وإنما بالصفح والعفو. وقد جسّد أنبياءُ الله تعالى هذا المعنى عمليًّا منذ ولادتهم إلى آخر حياتهم، من خلال حُسن تعاملهم مع جميع الخَلق، حتى مع الذين يختلفون معهم في المباني العقديّة. وإنّ هذا الجهد العملي الذي كرّسوه واقعًا ملموسًا كان سببًا في استمالة المخالفين لدينهم إلى ما كانوا يدعون إليه؛ لأنّ العمل إذا تكلّم أذعن له الجميع.

كلمات مفتاحية:(التعامل، الأنبياء، الطاغوت، الأدب، التفاني، الدين).

Abstract

Of the concepts that Islam emphasized and instilled in its followers is the notion of forgiveness and good treatment. In fact, it went beyond that to advocate for not repaying harm with harm, but rather with pardon and forgiveness.

The prophets of God, may He be exalted, embodied this meaning practically from their birth until the end of their lives, through their kind dealings with all of creation—even with those who differed from them in core beliefs.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين معلم الانسانية وهادي البشر الى سبيل الرشاد ابي القاسم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وآله الطيّبين الطاهرين وعلى مماثليه في الرسالة اجمعين.

ان الدين الاسلامي على قدمٍ عصوره المختلفة وبلدانه المترامية الأطراف ابتداءً من بداية عصر الرسالة السماوية جاء لتهذيب النفوس، وتصحيح الاعتقاد، وتقويم الاعوجاج، والتعامل مع ما يخالفهم سواء كان في أصول العقيدة أو فروع الفقه، وهذا هو التعامل الذي اشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [i]، ولمّا كان الأنبياء (عليهم السلام) هم خلاصة الجنس البشري، وأنموذجاً للعنصر الإنساني، فقد تعاملوا وتفاعلوا مع الأحداث والوقائع التي واجهوها.

وبهذا التعامل قَصّ الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم كثير من الأحداث والصور والمشاهد التي واجهت الأنبياء(عليهم السلام) .

ومن ذلك تعاملهم عليهم السلام مع طواغيت عصرهم سواء كان من أصنامهم أو جبابرتهم، وقد تناول هذا البحث نماذج من تعامل الأنبياء مع طواغيتهم في القرآن الكريم وفق دراسة تفسيرية.

وقد اقتضى أنْ يكون البحث من خمسةِ مباحث محورية؛ إذ جاء المبحث الأوّل ليعرّف بمفاهيم البحث.

بينما ذكر المبحث الثاني مجموعة من صور تعامل النبي نوح (عليه السلام) مع طواغيت زمانه .

في حين كان المبحث الثالث يتحدث عن بعض صور تعامل النبي ابراهيم (عليه السلام) مع طواغيت عصره

وعرض المبحث الرابع ليستعرض بعض نماذج تعامل النبي موسى(عليه السلام) مع طواغيت عصره.

وختم البحث بمبحث خامسٍ كان في نماذج من صور تعامل نبينا الاكرم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مع طواغيت زمانه.

ثم ذُكِرَت بعدها خاتمة بأهم نتائج البحث، وتَبِعتها قائمة بمصادر ومراجع البحث .

ختاماً ارجو ان يكون في مضمونه رضا الله سبحانه وتعالى ونفع لمن طالعه.

ولله الحمد في الآخرة وهو رب العالمين .

المبحث الأول التعريف بمفاهيم البحث

المطلب الاول : مفهوم التعامل لغةً واصطلاحاً

أولاً: التعامل لغةً

مأخوذ من المعاملة: مصدرٌ من قولك عاملته إذا تعاملت مع الشخص وصاحبته وخالطته وعاشرته أو تعامل مع الغير[ii].

وهذا نفس ما ذهب إليه ابن فارس(ت395ه) بقوله: "عاملته بمثل صنيعه "[iii]، إذ هو تصرّف يصدر من الإنسان في تنظيم حياته من جميع الجوانب، وقد جاء في المصباح المنير: "عاملته: في كلام أهل الأمصار يراد به التصرّف من البيع ونحوه"[iv]. أي: ما يدخل تحت يدّ المالك: من منافع وشيءٍ منقول.

وبهذا يكون معنى التعامل هو الاشتراك في العمل.

ثانياً: التعامل في الاصطلاح

عُرّف بأنَّه: "مُعاملة أسلوب التّصرف مع شخص ما"[v]. واسلوب التصرف لا يتحقق بأتباع كل ما جاء به الشارع من أحكام، وبهذا "تطلق المعاملات على الأحكام الشرعيّة المنظِّمة لتعامل الناس مع بعضهم في الدنيا سواء كانت أحكاماً شرعيةً أو علاقاتٍ أسرية أو أحكاماً شرعية مالية"[vi].

وعن طريق كلا التعريفين اللغوي والاصطلاحي يمكن القول بأنَّ التعامل كمصطلح يراد به، الاشتراك في العمل، وصورته الواقعية هي المعاملة مع الغير.

المطلب الثاني: مفهوم الطاغوت لغةً واصطلاحاً

أولاً: الطاغوت لغةً

الطاغوتُ: ما عُبِدَ من دون الله عز وجل، وكلُّ رأْسٍ في الضلالِ طاغوتٌ، وقيل: الطاغوتُ الأَصْنامُ، وقيل الشيطانُ، وقيل الكَهَنةُ، فكل معبود استقل بالعبادة دون الله فهوة طاغوت[vii].

وقيل أنّ "الطَّواغِيتِ أو الطواغي جمع طاغِيَةٍ، وهو ما كانوا يَعْبُدونه من الأَصْنامِ وغَيْرِها؛ ومنه: هذه طَاغِيَةُ دَوْسٍ وخَثْعَمَ أي صَنَمُهم ومَعْبودُهم، ويجوز أَن يكون أَراد بالطَّواغِي من طَغَى في الكُفرِ وجاوَزَ الحَدَّ، وهم عُظَماؤهم وكُبَراؤهم. وأَما الطَّواغِيتُ فجمع طاغوت وهو الشيطانُ أَو ما يُزَيّن لهم أَن يَعْبُدوا من الأَصْنامِ. ويقال: للصَّنَم: طاغوتٌ. والطاغِيةُ الجَبَّارُ العَنيدُ"[viii].

واضاف الراغب(ت502ه) "الطَّاغُوتُ عبارةٌ عن كلِّ متعدٍّ، وكلِّ معبود"[ix].

وبهذا يكون الطاغوت معناً جامعاً لعدة معاني .

ثانياً: الطاغوت اصطلاحا

عُرِّف الطّاغوت اصطلاحاً هو "الطّاغي المعتدى، كلّ رأس في الضّلال يصرف عن طريق الخير، كلّ ما عبد من دون الله من الجنّ والإنس والأصنام، الشّيطان، الكاهن السّاحر. جمع: طوّاغيت وطواغ "[x]، وقال: أيضاً "الطاغوت ذو الطغيان على جهة المبالغة في الصفة، فكل من يعبد من دون الله فهو طاغوت، وقد يسمى به الأوثان كما يسمى بأنّه رجس من عمل الشيطان، ويوصف به أيضا كل من طغى بأن حكم بخلاف حَكَم الله وأصل الضلال الهلاك بالعدول عن الطريق المؤدي إلى البغية لأنّه ضد الهدى"[xi]. روي عن أمير المؤمنين :"(عليه السلام)كل حكم بغير قولنا أهل البيت فهو طاغوت، والسحت الحرام والكفر بالطاغوت أن يعتقد أنّه ليس أهلاً للتحاكم، فمن اعتقد ذلك ثم أراد التحاكم إليه فهو خائن"[xii].

فالمعنى اللغوي والاصطلاحي يلتقيان في عدة وجوه، منها: التعدي، والكفر، وتجاوز الحد، والمبالغة في الشيء، ولا يخرج احدهما عن الآخر فهو معنى شامل لجميع ما ذكُر.

المطلب الثالث: نماذج لصور طاغوتيه ذكرت في القرآن الكريم

1- الشيطان

الشيطان: لغةً

يقول ابن فارس(ت395ه): "الشين والطاء والنون أصلٌ مطّرد صحيح يدلُّ على البُعد" [xiii]، بمعنى البعيد عن الصواب والحق، أو الخبيث المبعد عن رحمة الله[xiv]، وقيل: "إنَّ الشيطان هو الشرير من الجن، ولهذا يقال للإنسان إذا كان شريراً شيطان"[xv].

وبهذا يكون استعمال كلمة الشيطان في كل شيء مُبعِد عن رحمة الله، وهو المؤذي المنحرف الذي يبث التفرقة والفتنة بين الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [xvi]، ففي الآية استعمل فعل المضارع "يريد"؛ ليدل على استمراريه منحى الشيطان في اغواء بني البشر والاستعمال القرآني لمفردة كلمة الشيطان يشمل حتى أفراد البشر المعادين والمفسدين للدعوة الإلهية، كما قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [xvii].

وكلمة الشيطان مطّرد على إبليس أيضاً لفساده وانحرافه عن جادّة الحق[xviii].

2-النمرود بن كنعان: ذكر أهل التفسير في إنّ قصة النمرود كانت في بابل الذي علا في الأرض فساداً وطغياناً وتجبُّراً، فقد كان معاصر لنبي الله

ابراهيم (عليه السلام) فلم يقدر أن يواجه الخليل في كثير من الأمور، منها: حيث قضية الشمس وشروقها، والحياة والموت، واحراقه بالنار وغيرها، الذي ابدى سذاجته[xix].

3-فرعون: إنّ فرعون لقب يطلق على حُكام مِصرَ، فكل من يصبح حاكماً يقود مصر يُلقّب بفرعون، لكن اختصّ فرعون مِصرَ "واسمه الوليد بن مصعب" في زمن موسى (عليه السلام) وكان مولعاً في الظلم والكفر، كما ادعى ،الربوبية[xx]، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[xxi].

4-دقيانوس: وهو أيضاً حاكم ظالم وطاغوت، كان من ملوك الروم، يعبد الأوثان أو المجوسيّة، وكان يلاحق النصارى ويقتلهم، وكانت موقع سلطته في أفسس[xxii]، وهي قريبة من مدائن البيزنطيّة[xxiii]، ويضيف الطريحي: "دِقْيَانُوسُ بْنُ خلانوس كَانَ مَلِكاً جَبَّاراً، كَانَ عَلَى بَقَايَا مِمَّنْ كَانَ عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ (عليه السلام)، وَكَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَ يَذْبَحُ لِلطَّوَاغِيتِ، وَ كَانَ يَدْعُو أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، فَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ قَتَلَهُ، وَكَانَ أَصْحَابُ الْكَهْفِ فِي زَمَانِهِ"[xxiv].

وكما هو معلوم أنّ الاسلام جاء بمجموعة قوانين وأنظمة سواء كانت على صعيد التجديد أو لتقويم بعض الشّبُه والانحرافات التي غلبت على المجتمع، ليستهلكها ويضع شيء ثاني مكانها أو يقوم بتنميتها في نفوس منحرفات الجاهلية، سواء كانت على نحو الدّين أو العادات والأعراف، فنشاهد أنّ الإسلام أضاء للناس طريقهم ورسم مستقبلهم الزاهر، فكان أحدهم هو الطاغوت فأثنى على ازاحته من طريقهم؛ حتى تزهر حياتهم تصديقاً لقوله تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[xxv].

المبحث الثاني: نماذج من تعامل النبي نوح (عليه السلام) مع الطواغيت

توطئة

يعد نبي الله نوح(عليه السلام) من الأنبياء العظام وهو ثاني معلّم للمجتمع الإنساني، فقد ذكره الله تبارك وتعلى في ثلاث وأربعين آية وثمان وعشرين سورة، وهذا ما يدل على عظمة النبي نوح(عليه السلام) ، ومنزلته إذ يلقب بشيخ الانبياء (عليهم السلام) ، وتعد فترة مكوثه في التبليغ هي الاطول من بين سائر الانبياء(عليهم السلام) ، ويمكن بيان نماذج من تعامل نبي الله نوح (عليه السلام) عبر المطالب الآتية:

المطلب الاول: التدرج في الدعوة

دامت دعوة نوح (عليه السلام) تسعمائة وخمسين سنة، جسد فيها أرقى اسلوب للتعامل؛ لما بذله من جهد في اقناع قومه الملحدين، في لزوم عبادة الله تبارك وتعالى وترك عبادة الأصنام، كما في قوله تعالى: على سبيل المثال لا الحصر: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾[xxvi]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾[xxvii]، وقال تعالى: {ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا}[xxviii].

فإنّ مظاهر الآيات الكريمة يشير إلى تدّرج نبي نوح (عليه السلام) في دعوته لقومه، وهو من أرقى أنواع التعامل إذ بدأ يدعوهم في الليل

والنّهار، ثم ترقّى، في دعوته إلى الجهر وهذا، غاية التعامل في النصّيحة والجدّ، وفي ذلك يقول الفيض الكاشاني: "يعني دعوتهم مرّة بعد أخرى وكرّة بعد أولى، سراً وعلانيةً وعلى أيّ وجهٍ أمكنني"[xxix].

المطلب الثاني: الترغيب بالنعم والترهيب

فطر الله تعالى عباده على حبِّ المال والأولاد؛ بما أودعه في مكنون خلقه، ولولا هذه الفطرة لما ربَّى، الإنسان الولد، وما حملت ووضعت أمّ ولدها، لذا تعامل نوح (عليه السلام)مع قومه بهذا المفهوم وحبّبهُ لديهم، فأنّ الإيمان بالله عزّ وجلّ والرجوع إليه بما أمر له الاثر الواضح على سعادة الانسان في الحياة الدّنيا والقرب من مرضاة الله سبحانه، وبهذا يكون سبباً للرجوع لدين التوحيد فخاطب قومه بقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[xxx]، جاء في تفسير الآية: "أي سلوه المغفرة من ذنوبكم السالفة بإخلاص الإيمان، وهذا منه ترغيب في التوبة"[xxxi]. وقال أيضاً: "لمّا كذبوا نوحاً (عليه السلام)زماناً طويلاً حبس الله عنهم المطر، وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنةً؛ فهلكت مواشيهم وزروعهم ، فصاروا إلى نوح (عليه السلام)واستغاثوا به، فقال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾، أي: لم يزل كذلك لمن أناب إليه، ثم قال ترغيبا في الإيمان"[xxxii]. قال الشيخ الطوسي(ت460ه)، "أي: اطلبوا المغفرة على كفركم ومعاصيكم من الله تعالى {إنه كان غفارا}، لكل من طلب منه المغفرة ويغفر فيما بعد لمن يطلب منه ذلك ومتى فعلتم وأطعتموه ورجعتم عن كفركم ومعاصيكم {يرسل} الله تعالى {السماء عليكم مدرارا} أي كثيرة الدرور بالغيث والمطر، وقيل: "إنّهم كانوا قحطوا وأجدبوا وهلكت أولادهم ومواشيهم، فلذلك رغّبهم في ترك ذلك بالرجوع إلى الله، والدرور تجلب الشيء حالا بعد حال على الاتصال0 يقال: در درا ودروراً فهو دار، والمطر الكثير الدرور مدرارا من المطر وغيره، فأرجعوا الى الله ففيه سعادتكم"[xxxiii].

ومن نماذج تعامل نبي الله نوح (عليه السلام)مع قومة هو أسلوب الترهيب عسى أن يستفيد احد أو يرجع الى صوابه ففي قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ، أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ، يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾[xxxiv] .

فخاطبهم بقوله يا قوم مشعرا بأنه من أوسطهم، ومرهبهم بأنّ العذاب قادم في عدم طاعتهم، وهذه وظائف الأنبياء(عليه السلام) في تعاملهم مع قومهم بأنهم منذرين وليس متسلطين عليهم، فبعبادتكم لله سبحانه وتعالى هو الفوز الحقيقي.

المطلب الثالث: عرض الحقائق الكونيّة في الأنفس

أستخدم نبي الله نوح (عليه السلام)أسلوباً آخراً في التعامل مع قومه، وهو استنطاق عقولهم ويحاول أنْ يحاكيها؛ وذلك بالتّفكر والركون في مخلوقات الله عزّ وجلّ، من قبيل دورة نشأتْ الإنسان بمراحل تكوينه حتى وصل إلى شكله النهائي، أو خلق السماوات والأرض، ومنازل القمر

وانارته، ورفع السماء بغير عمد، أو بسط الأرض، أو غيرها من النِعم.

فالذي يبدع في خلقه بهذه الصورة والاتقان فهو قادرٌ من باب أولى أن يعيدهم مرّة أخرى بعد اندثارهم وموتهم، إلى أنْ يحاسبهم عن كل ما صدر منهم كالتكذيب أو الكفر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا، أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا، وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا، ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا، وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا، لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [xxxv]، اي "على اختلاف الأهواء والإرادات والمشيئات"[xxxvi] : " والحال أنه أنشأكم طورا بعد طور يستعقب طورا آخر فأنشأ الواحد منكم ترابا ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم جنينا ثم طفلا ثم شابا ثم شيخا وأنشأ جمعكم مختلفة الافراد في الذكورة والأنوثة والألوان والهيئات والقوة والضعف إلى غير ذلك، وهل هذا إلا التدبير فهو مدبر أمركم فهو ربكم"[xxxvii].

وهذه الآيات آفاقيه دلاليةً {الَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً بعضها فوق بعض وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً} [xxxviii]، جاء في تفسيرها: "مثّلها به لأنّها تزيل ظلمة الليل عن وجه الأرض كما يزيلها السّراج عمّا حوله"[xxxix] .

وقال صاحب أيسر التفاسير: "وهكذا تحّول بهم نوح (عليه السلام) في معارض آيات الله الكونية وكلها دالة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته، وهي موجبة للعبادة له عقلا ونفيها عما سواه كانت هذه مشكلة نوح (عليه السلام) وعرض حاله على ربه، وهو أعلم به وفي هذا درس عظيم للدّعاة الهداة المهديين جعلنا الله منهم آمين"[xl].

المبحث الثالث نماذج من تعامل النبي أبراهيم (عليه السلام) مع الطواغيت

توطئة

يعد نبي الله ابراهيم (عليه السلام)من أعظم الأنبياء على نبينا وآله أفضل التحية والسلام، فقد جسَّد مفهوم التعامل الإنساني وذلك عن طريق سيرته وسلوكه الحَسِنْ، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم "تسع وستون موضعاً توزّعت بين خمس وعشرون آية"[xli].

وقد ذكرهُ القرآن الكريم بصفاتٍ جليّةٍ عظيمةٍ بأنّه قدوةً وأسوة في كلِّ المجالات، ونموذج للإنسان الكامل، فقد جمع صفات الإنسان المخلَص الثلاث، الرسالة والنبوة والإمامة، والعمل والاستعداد والتحمل بما أوتي من تكليف، فخاض نبي الله ابراهيم (عليه السلام) حوارات ومجادلات عديدة فتعامل معها بكل رزانة وهدوء، فقد واجه مجتمعاً عاصياً لله معتكف للأصنام في عبادته بالإضافة إلى اصطدامه مع طاغوت عصره النمرود الذي عاث في الارض فساداً وتكبراً وتجبراً وإليك بعض من أهم آداب تعامله مع قومه وطواغيتهم .

المطلب الأول: الحوار

إنَّ من أهم ما تجذب به الطرف الآخر وتجعلهُ منقاد ومصغي إليك، هو التلطّف في الكلام وحسن المعاملة، إذا كان أسلوب الحوار ينسجم مع مبادى الرسالة السماوية فتشعرهُ بأنك طالب الحقيقة غير معاند، فإذا وجد منك كل هذا الإنقياد فهي أحدى مقومات الاستماع، هذا من جهة، ومرّة علاقته وارتباطه العاطفي يستدعي أكثر من ذاك وقد صوّر القرآن الكريم هذا النوع الخاص من الحوار الذي دار بين إبراهيم وأبيه آزر الذي كان عميد

اسرتهم، فهي من أهدأ المحاورات وألينها بأسلوبها الذي يتلاءم مع الرسالة الإلهية ففي قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾[xlii]، فكان بدأ خطاب ابراهيم(عليه السلام) ﴿يَا أَبَتِ﴾ وهذا أسلوب حواري يدل على قمة التواضع والتعامل واللّين ومحاولةً منه لهداية أبيه الذي ذكر أسمه وإن لم يكن أباه الصلبي فسواء كان عمه أو جده لإمة، يقول صاحب الأمثل: "إن إبراهيم(عليه السلام) بدأ في دعوته العامة بأبيه؛ وذلك لأن النفوذ في الاقربين أهمّ وأولى، كَما أنَّ نبي الإسلام محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)قد امر اولا بدعوة عشيرته الأقربين"[xliii]، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[xliv]، فالقرآن الكريم يصّور مراحل دعوة نبي الله ابراهيم فبدأ بأوّل دعوته بقضايا عقلية فطرية تحاكي العقل {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا }[xlv]، ومن ثمّ صحَّح طريق العبادة ليوصلهُ الى طريق النجاة؛ باستدراجه إلى العلم بما أعطاه الله سبحانه وتعالى، كما في قوله تعالى: ﴿يا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾[xlvi]، ومن ثم ترقى في خطابه(عليه السلام) بإطاعته للشيطان فعلل أن لا تعبده ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾[xlvii]، فبهذه البراهين حاور إبراهيم (عليه السلام) اباه لكن لم يتأثّر ومن بعد اليأس منه قال:{سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي}[xlviii]، أي "أطلب منه غفرانك بأنْ يوفّقك للتوبة حتى تكون أهلاً للغفران {إنه} أي الله "كان بي حفيّاً" أي لطيفاً بارّا"[xlix].

المطلب الثاني: المُحاجّة والمُناظرة لإثبات الحقّ

المُحاجّة لغةً: هي "أنْ يطلب كل واحد أن يَرُدَّ الآخر عن حجيّته ومحجّته"[l]، وهي تعتبر من أهم أساليب التعامل التي يستخدمها في اثبات حجيّة الدّاعي، ويستخدمها أهل المناظرة لإيصال الخصم إلى الاعتراف بالحق، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[li]، وقد طبّق هذا الخليل (عليه السلام) في آداب تعامله واحترامه مع المدعو، فأظهر الحجّة الدامغة أمام قومه، فلو تأملنا في قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ

الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[lii]، فالذي حاجَّ إبراهيم(عليه السلام)"هو "النمرود"[liii]، هو أول جبار ادعى الربوبية[liv]، حينما سأل ذلك الجبار إبراهيم (عليه السلام)عن ربّه مِن هو الإله الذي تدعو إليه؟ فقال : ﴿ربي الذي يحي ويميت﴾ ولكن نمرود بتجّرِهِ اتخذ طريق المجادلة وتزييّف الحقائق؛ لإغفال الناس والملأ من حوله، فقال: إنَّ قانون الحياة والموت بيدي ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ ومن أجل إثبات هذه الدعوة الكاذبة استخدم حيلةً حيث أمر بإحضار سجينين أطلق سراح أحدهما وأمر بقتل الآخر ثم قال لإبراهيم(عليه السلام) والحاضرين من الناس أرأيتم كيف أحي وأُميت بقصد نمرود "أحيه بالتّخلية من الحبس وأُميت ممّن وجب عليه القتل وأميت بالقتل من شئت ممن هو حي"[lv].

لكنَّ ابراهيم (عليه السلام)قدّم دليلاً آخر، لإحباط هذه الحيلة وكشف زيف المدعي بحيث لا يمكنه بعد ذلك من إغفال الناس فقال: {قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ}[lvi]، وهنا أُلقمَ هذا المعاند حجراً {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[lvii]، "وهذا أفضل طريق لإسكات كلّ عدوّ عنيد. بالرغم من أنّ مسألة الحياة والموت أهم من قضيّة حركة الشمس وشروقها وغروبها، من حيث كونها برهاناً على علم الله وقدرته، ولهذا السبب أورده إبراهيم(عليه السلام) دليلاً أوّل، ولو كان في ذلك المجلس عقلاء ومتفكّرون لأكتفوا بهذا الدليل واقتنعوا به، إذ أنَّ كلَّ شخص يعرف"[lviii].

وقد استخدم نبي الله ابراهيم (عليه السلام)المحاجة والمناظرة مرة أخرى في تعامله مع قومه، ففي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[lix].

ورد في قصة هذه الآية عن الإمام ابو الحسن الرضا أنّه قال: (عليه السلام)أن إبراهيم (عليه السلام) وقع على ثلاثة أصناف، صنف يعبد الزهرة، وصنف يعبد القمر، وصنف يعبد الشمس، وذلك حين خرج من السرب الذي أُخفي فيه، فلمّا جنَّ عليه اللّيل فرأى الزهرة قال: هذا ربي على الإنكار والاستغفار فلمّا أفل قال: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾[lx]، فلمّا أصبح ورأى الشمس بازغة قال: هذا ربي؟! هذا أكبر من الزهرةن والقمر، على الإنكار والاستقطار لا على الإخبار والإقرار فلمّا أفلت قال للأصناف الثلاث، عبدة الزهرة والقمر والشمس يا قوم اني برئ مما تشركون فقد اتجه ابراهيم (عليه السلام)على تعريف الاله أمام من باب الفرض مجاراة مع عُبّاد الصنم والكوكب؛ ليبطل عليهم دعوتهم ويثبت أنّ على الرب لا يطرأ عليه الانتقال ولا تغيير"[lxi].

وكان هذا القول منه عُقيَبَ معرفته بالله تعالى وعلمه بأنَّ صفات المحدثين لا تجوز عليه.

يقول الفيض الكاشاني(ت1091ه): "إنما أراد إبراهيم (عليه السلام) بما قال: أنْ يبيّن لهم بطلان دينهم ويبين عندهم أنَّ العبادة لخالقها وخالق السماوات والأرض ، وكان ما احتج به على قومه ما الهمه الله وآتاه"[lxii].

وبرجوعه الى الخالق تبارك وتعالى كما في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[lxiii].

فأستخدم ابراهيم (عليه السلام)فنُّ التعامل بمجاراة قومه وهو يوجّه لهم الأسباب كانت نقطة تحولّ في واقعهم .

المطلب الثالث : استخدام اسلوب التعريض لإثبات الخالق

بدأ الخليل بدرس آخر في التعامل مع قومه؛ من هو الخالق والموجد والشافي؟ ومن هو الذي يستحق العبادة؟ بتأملات زرعها في نفوس قومه، ففي قوله تعالى: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾[lxiv]، والمراد بها الصور المجسمة، وهو الصنم حاول من خلالها فتح عيونهم على واقع أصنامهم، وعلى السبب الذي يوعدهم تقويتها والقيام بخدمتها، بمعنى ما هذه الصور التي مقيمون على الاعتكاف على عبادتها؟[lxv]. ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾[lxvi]، فلم تحضر الحجة الديهم فذهبوا الى التقليد الأعمى باتباعهم الآباء، فأجاب ابراهيم(عليه السلام) ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[lxvii]، فأجابوه انت جاد في ما تقول به؟ فدعاهم إلى التوحيد ﴿ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾[lxviii]، ثم أتخذ قرار في نفسه ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾[lxix]، قال: "فلما نهاهم ابراهيم (عليه السلام) واحتج عليهم في عبادتهم الاصنام فلم ينتهوا فحضر عيد لهم، فخرج نمرود وجميع أهل مملكته إلى عيد لهم، وكره أن يخرج ابراهيم معه، فوكله ببيت الاصنام، فلمّا ذهبوا عمد ابراهيم إلى طعام فأدخله بيت أصنامهم، فكان يدنو من صنم ويقول له: كل وتكلم فاذا لم يجبه أخذ القدوم فكسر يده ورجله حتى فعل ذلك بجميع الاصنام، ثم علّق القدوم في عنق الكبير منهم الذي كان في الصدر، فلما رجع الملك ومن معه من العيد نظروا إلى الاصنام مكسرة"[lxx].

فكانت الحكمة من هذا العمل هو الانبعاث والتفكر في أصل عملهم وما يؤل اليه ببقائه كبير اصنامهم فقد فسرت "أما لي يرجعون إلى إبراهيم فيسألونه عن حال الأصنام لينبههم على جهلهم، وقيل: لعلهم يرجعون إلى الكبير فيسألونه وهو لا ينطق فيعلمون جهل من اتخذوه إلها"[lxxi]، فوقع الشك في انفسهم وأحسوا الصواب في وجدانهم كما

صوره القرآن الكريم﴿ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[lxxiii] .

وهذا يدلّ على ادارة ابراهيم(عليه السلام) في التعامل بأرقى صورة.

المبحث الرابع : نماذج من تعامل النبي موسى(عليه السلام) **مع الطواغيت**

توطئة:

موسى كليم الله (عليه السلام) وهو أحد انبياء أولوا العزم الخمسة أرسله الله تعالى الى بني اسرائيل عُرف بسيرته ومواقفه الحسنة، وهو ذلك القدوة الذي قضى حياته في مكافحه الظلم والاستبداد والتمايز العنصري وفي قصته كثير من اسلوب التعامل يقول الشيخ السبحاني: "وهو من اعظم المناضلين في تاريخ الانسانية، ولذلك احتلت قصته المرتبة العليا في القرآن الكريم حيث ذكرت في اربع وثلاثين سورة منه كما ورد اسمه في مائه وستا وثلاثين مرة، وكانت حياته منذ ولادته الى أن القي ربه تعالى مقترنه بالصعاب ومليئة بالأشواك ومن هنا اهتم الذكر الحكيم بذكر كفاحه مع طاغوت عصره على وجه لا تجد له مثيلا في القرآن الكريم"[lxxiii]. فكانت حياته مليئة بأفضل صور التعامل سواء مع قومه او اعدى اعداء الدين فرعون منذ ولادته الى مماته فكانت مليئة بالأشواك والصعاب لذلك اهتم القرآن الكريم بذكرها وذكر كفاحه مع طاغوت الدين الذي ادعى الربوبية على وجه ليس له مثيل في القرآن الكريم فقد جسد التعامل بصورة الحقيقية.

المطلب الاول: غَضّ البَصَر

لو تأملنا في قصه موسى (عليه السلام)مع الجاريتين كيف تعامل معها في مطلق الانسانية والرحمة، وقدّم لهم المساعدة مع ما كان يحمله من صعوبة السفر والتعب والتشرد والحرمان والجوع، ويضيف القمي في تفسيره فلما وصل باب مدين رأى البئر الذي يستقى منه الناس لدوابها واغنامهم، فنظر الى المرأتين في ناحية ومعها غنم لا يقتربان من البئر، فقال لهما: مالكما لا تسقيان[lxxiv]؟. قال تعالى:﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾[lxxv]، فدنى موسى من البئر ورحمهما واستسقى دلو لمن كان على البئر ودلو لبنتي شعيب وسقى اغنامهما وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾[lxxvi]، "وهنا يطرق تساؤل صاحب الامثل من أين عرفت أن هذا الشاب قوي وآمين ؟ أذ لاحظت قوته وهو يُنحي الرعاء عن البئر ويملأ القربة الثقيلة لوحده ويطلب بحق المظلوم، وأما أمانته فقد اتضحا لها منذ أن سارت أمامه إلى بيت أبيها، فطلب منها أن تتأخر ويتقدمها لئلا تضرب الريح ثيابها"[lxxvii].

فهذه هي اخلاق الانسان العارف المسلم لا يرقى لشيء ليدخل منه الشيطان فالنظرة المحرمة هي سهم من سهام الشيطان وغض البصر عن ما حرم الله وخوف الوقوع بالحرام هي فيها السعادة

الإخروية قال رب العزة: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[lxxviii].

المطلب الثاني: الشجاعة والتح

أن من مقتضيات الايمان إن الانسان المتدين لا يخشى غير الله سبحانه وتعالى فلا يقدم على عمل إلا والله حاضر فيه، فحينما طلب الله سبحانه وتعالى بالذهاب الى فرعون ويبلغانه رسالة الله تعالى في قوله: ﴿وقالَ مُوسى يا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾[lxxix]، وهذه اول مواجهه بين موسى وفرعون وهي واقعه حيه بين الحق والباطل فيقول موسى: "يا فرعون" وان كان مقروناً بأدب التعامل وليس فيه نوع من انواع التملق والمحاباة واظهار العبودية؛ لان الناس كانوا يعبدونه ويعظمّوه مثل يا سيدنا ويا مالكنا ويا ربنا وغيرها فكان انصدام لفرعون او انذار له[lxxx]، أما في قوله قَالَ: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[lxxxi]، فهذه وقفه تحدي وشجاعة وهو في قصر فرعون وتكلم بهذا الكلام الشجاع وكذلك في قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[lxxxii]، اي هالك لكفرك ويقول صاحب الميزان:

"وهو أن الثبور بمعنى الهلاك والمعنى قال موسى مخاطبا لفرعون: لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات البينات إلا رب السماوات والارض أنزلها بصائر يتبصر بها لتميز الحق من الباطل واني لأظنك يا فرعون هالكا بالأخرة لعنادك وجحودك"[lxxxiii].

فبهذا الكلام فضح فرعون بادعائه بأنه ربهم الأعلى كما أنه يحمل أدانه للملأ بادعائهم الكاذب0

المطلب الثالث: التعلّم واحترام المعلم

تمثل قصة موسى والخضر (عليهما السلام) أدباً من آداب التعامل في طلبي العلم مع ما لموسى (عليه السلام) من خصائص النبوة فلم يتأخر عن طلب العلم أو يثني في احترام معلمه مع مكانة موسى العلمية ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[lxxxiv].

"ان سبب ذلك أن الله عندما كلم موسى تكليما وانزل عليه الالواح فصعد المنبر واخبر بني اسرائيل انه انزل عليه التوراة وكلمه، وقال في نفسه ما خلق الله تعالى خلقا أعلم مني فأوحى الله عز وجل الى جبرئيل (عليه السلام) أدرك موسى قد هلك، واعلمه أن عند ملتقى البحرين عند الصخرة رجل اعلم منك فسير اليه وتعلم من علمه"[lxxxv].

فلما سمع موسى (عليه السلام) بالخضر وعلمه ذهب ليتزود من هذا العلم فعمد على نفسه وقطع العهد عليها أن يتزود فذهب هو ووصيه يوشع بن نون، فلما وصل الى المكان الذي فيه الخضر طلب منه أن يعلّمه مما علم قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ

رُشْدًا ﴾[lxxxvi]،اي تعلمني بما فيه السعادة والصلاح والخير فأجابه الخضر: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[lxxxvii]، وكلمه لن تفيد تأبيد النفي بمعنى لا تقدر على الملازمة واتباعي وقال: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾[lxxxviii]، وهذا اصرار منه على أن يريد الامتحان والتعلم والسعي في طلب العلم هذا من جهة ومن جهة اخرى احترامه وتأدبه وتعامله واعتذاره للخضر المتكرر الى اخر المحاورة التي جرت فبهذا يتبين عمق واحترامه وتعامله بين الطرفين.

المبحث الخامس نماذج من تعامل النبي محمد(صلّى الله عليه وآله وسلّم) مع الطواغيت

توطئة

إن أفضل من طبق التعامل بين الناس هو رسولنا الكريم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فكان في قمة التعامل والادب وأروع نموذج الكمال الانساني حتى الله سبحانه وتعالى مدحه في قوله: ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾[lxxxix]، فالذي يمدحه الباري ويوصي في الاقتداء به والسير على نهجه كما في قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوه حسنه لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا﴾[xc]، فلا ترتقي عقول البشرية بشيء منه أو الإحاطة به لذلك يقف الانسان عاجزاً عن أدب تعامله فمهما تكلمت فلن افي بشيء منه، او الاشارة الى ما يحمل من أخلاق ومحبة وحسن تعامل وسيرة بين الناس فيلزم علينا أن ننصر رسولنا الكريم (صلّى الله عليه وآله وسلّم)عملا وقولا فقد روي عن أبي عبد الله: أن الله أدب نبيه على أدبه فلما انتهى به الى ما أراد قال: "انك لعلى خلق عظيم ففوض إليه دينه، فقال: ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم فانتهوا"[xci].

المبحث الاول: الصفح و العفو

أن من محاسن ما تعامل به رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى من أساء إلى شخصه الكريم هو الصفح والعفو عن المسيء ليطوي له صفحه جديدة وعدم ترتب الاثر وهو مصدق قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[xcii] . فمعنى الآية "ادّر وجهك وغض النظر عنهم "[xciii]، اي فلا تشغل نفسك وتجهدها بما تشاهد من الاستهزاء والتكذيب فأن هناك يوم يقفون فيه للحساب ولا يجاوزونه فاعفوا عنهم ولا تعاتبهم او مناقشتهم وفي تفسير كنز الدقائق "ولا تعجل بالانتقام منهم، وعاملهم معاملة الصفوح الحليم "[xciv]، فلو استقرأنا سيرته (صلّى الله عليه وآله وسلّم)فيها الكثير من الصفح فقد عفى عن المرأة التي دست له السم وعفوه عن أهل مكة وتعامله مع مشركو قريش فحين وقف على باب الكعبة" قال: "لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده" فقال: يا اهل مكة ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا: خيراً أخ كريم، فقال اذهبوا فانتم الطلقاء" [xcv]، فأعتقهم من بعد كان متمكن منهم فكانت هذه اهداف الدعوة الاسلامية بالدعوة إلى الخير واحترام الاخر والصفح عمن ظلم .

المبحث الثاني: الاخلاق:

عُرف "الخلق بأنه ملكه للنفس مقتضيه لصدور الافعال بسهوله من دون احتياج الى فكر ورويه"[xcvi]، وقيل: "الخلق : من مادة (الخلقة) بمعنى الصفات التي لا تنفك عن الإنسان، وهي ملازمة له، كخلقة الإنسان"[xcvii]، فلو تصفحنا حياة رسول الله وقرأناها بتمعن من ولادته الى استشهاده لوجدنا تأريخاً مشرفاً وحياةً مشبعةً بالتسامح والمحبة وحسن التعامل مع الناس جميعاً فأنه كسبهم الى الاسلام من خلال تعامله و حسن خلقه قولاً وعملاً وكان النموذج الواعي الحي في معاملاته فلم يخالجه الغرور او التكبر مع أنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم)كان على رأس السلطة وكيف لا يكون كذلك وقد مدحه الله تبارك وتعالى في كتابه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[xcviii]، فسر الخلق العظيم "الصبر في طريق الحق وكثرة البذل والعطاء وتدبير الامور والرفق والمدراء وتحمل الصعاب في مسير الدعوة الالهية وفسر الخلق "القرآن الكريم أو مبدأ الإسلام"[xcix]، ثم يضيف بقوله: "وعلى كل حال فإن تأصّل حسن الخُلق العظيم في شخصية الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)وهو دليل واضح على رجاحة العقل وغزارة العلم له ونفي جميع التهم التي تنسب من قبل الاعداء إليه"[c].

المطلب الثالث: الأمانة والصدق

تعامل رسولنا الكريم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالأمانة والصدق في كل الامور وفي جميع الاوقات والاحوال بأفضل صورها من ولادته الى التحاقه بربه فكانت صفاته والقابه خير شاهد على ذلك وفي مقدمتها حمله للرسالة الاسلامية وتبليغه للوحي التي أداها بأكمل وجه قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[ci]، فجاء في تفسيرها "هذا تهديد للنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على تقدير أن يفتري على الله كذبا و ينسب إليه شيئا لم يقله و هو رسول من عنده أكرمه بنبوته و اختاره لرسالته"[cii]، لذلك أيده بالمعجزات والآيات الباهرات الظاهرة على صدق دعوته فهاذه أكبر شهاده ربانيه للرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)فكان أهلا لها.

هذه أبرز نماذج من الأنبياء الكرماء (صلوات الله عليه أجمعين) في تعاملهم مع اقوامهم ألذي تحلو بالسلوك والسيرة الطيبة.

الخاتمة

1ـــ التعامل هو أدب يقتضيه الدين الاسلامي فهو يقدم للإنسان كل ما يسعده في الدنيا والاخرة بأن يقدم له الادوات التي تقومّه في حياته.

2ـــ يشير القرآن الكريم إن مفهوم الطاغوت لفظ مشترك يطلق على كل معتدي ظالم سواء كان من فردٍ او جماعة بمعنى كل من تلبس بهذه الصفة وأن لم يدعِ .

3ـــ القرآن الكريم يصدح تأدية الانبياء وظائفهم على نحو المعاملة الحسنة بدون ملل او كلل مع ما يلاقوه من قومهم سواء كان على نحو التكذيب او السخرية أو غيرها.

4- إنه إذا تعامل الانسان مع الله سبحانه وتعالى بكل اخلاص وتفاني واعتقد بحسن الظن بالله تعالى بأنه ناصره ومؤيدة وهو السبب لتفريج كربته وهو حال الانبياء في تعاملهم بنص القرآن.

5- من الضـــروري أن يتمســـك كل داعي بآداب تعامل انبياء لأن هو الطريق السالك لهم والموصل الى بّر الامان.

6- أن من ســـعادة الانســـان والنجاة من اهوال المعيشة الضنكة والفوز بالجنة والرضون والتمتع بالخير والرضون هو الالتزام بأدب التعامل .

7- أن من أهم مـا يحرك قوى الانســـان وتهتز مشـاعرة أذا وقف على تقلبات الواقع البشـري من القدم الى يومنا هذا كيف تعامل الانبياء معها حسب اقتضـاء عصمتهم وبالخصوص سيرتهم (صلوات الله عليهم أجمعين) وما ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى.

الهوامش

[i] سورة فُصّلت / 34.

[ii] ينظر كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت170هـ) ط2، مط :دوم، 1409هـ، 2/ 154.

[iii] معجم مقايس اللغة، أحمد بن فارس(ت395هـ)، ج4، مكتب الاعلام الإسلامي – قم، الطبعة الاولى،341/3.

[iv]المصباح المنير في غريب الشرحِ الكبير للرافعي، أحمد بن محمد المقري الفيومي(ت 770هـ)، 2/ 430.

[v] تكملة المعاجم العربية ، ريهارت بتران(ت 1300)هـ ، وزارة الثقافة العراقية ، ط الاولى 2000م ،/316.

[vi]المدخل الى فقه المعاملات المالية ، د محمد عثمان شبير م دار النفائس ، ط الثانية 2010م ، /10.

[vii] ينظر: لسان العرب، ابن منظور(ت711هـ)، مطبعة دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع – دار صادر – بيروت، 1414هـ،15/9.

[viii] المصدر السابق.

[ix] مفردات ألفاظ القرآن، حسين بن محمد الراغب الأصفهاني(ت502هـ)، مطبعة الدار الشامية – بيروت، ط:1، 1412هـ، /521.

[x]مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، محمد بن الحسن الطوسي(ت460هـ)، مطبعة مؤسسة فقه الشيعة – بيروت، ط:1، 1411هـ، 878/2.

[xi] تفسير مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي(ت538هـ) مطبعة المجمع العالمي لأهل البيت (ع) 143/2.

[xii]الوافي، الفيض الكاشاني(ت1090هـ) مطبعة امير المؤمنين(ع)اصفهان، ط:1 1406هـ، 29/1.

[xiii] معجم مقاييس اللغة، 183/3.

[xiv] ينظر :معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس، 183/3.

[xv] معجم الفروق اللغوية ، الحاوي لكتاب ابي هلال العسكري وجزء من كتاب السيد

[xxvi]سورة نوح/ 5.

[xxvii]سورة نوح/ 8.

[xxviii]سورة نوح/ 9.

[xxix] تفسير الآصفي ،محمد حسين الفيض الكاشاني ، ط:1، مركز الابحاث الإسلامية ، 138/4.

[xxx] سورة نوح/ 10-12.

[xxxi]الجامع لأحكام القرآن، ابو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (671هـ)، تحقيق: هشام سمير ، مطبعة دار الكتب الرياض، 301/18.

[xxxii] المصدر نفسه، 302/18.

[xxxiii]التبيان في تفسير القرآن ،أبي جعفر الطوسي،10/ 153.

[xxxiv] سورة نوح/ 2-5.

[xxxv]() سورة نوح /13-20.

[xxxvi]() تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي(ت329هـ)، تحقيق: طيب الموسوي الجزائري، المطبعة: مطبعة النجف، 387/2.

[xxxvii]() تفسير الميزان، السيد الطباطبائي(ت1402هـ)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة،32/20.

[xxxviii] سورة نوح /16.

[xxxix] تفسير البيضاوي، البيضاوي(ت682هـ)، مطبعة: بيروت – دار الفكر، الناشر: دار الفكر. 395/5.

نور الدين الجزائري ، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي ،ط: 7 /307.

[xvi] سورة المائدة /91.

[xvii]سورة الانعام/ 112.

[xviii] ينظر: الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة دار احياء التراث العربي ، ط: 1، 172/1.

[xix] ينظر: التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، ط:2 -1427 - 2006م، مطبعة دار الفكر- دمشق، 1/ 150.

[xx]ينظر: الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ط: 1 سنة الطبع: 1416- 1996م، تحقيق: سعيد المندوب، مطبعة لبنان – دار الفكر، 381/2.

[xxi]سورة القصص /38

[xxii]() اسم مدينة اصحاب أهل الكهف ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان 16/3.

[xxiii]ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم ،حسن المصطفوي، مطبعة ارشاد اسلامي ايران، ط:11368هـ،200/1.

[xxiv]مجمع البحرين، فخر الدين بن محمد الطريحي، مطبعة مرتضوي طهران، ط:3 -1375هـ،71/4.

[xxv] سورة البقرة / 286.

والسجود لها ولم يكن في عهده مؤمن ظاهراً حتى بعث الله تعالى خليل الرحمن، شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني(ت1081هـ)، تحقيق: الميرزا أبو الحسن الشعراني / ضبط وتصحيح : السيد علي عاشور، المطبعة: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة:1 سنة الطبع : 1421 – 2000م، 529/12.

[liv] ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي(ت911هـ)، الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر –بيروت – لبنان، 117/4.

[lv] التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي، 2: 316 .

[lvi]() سورة البقرة/258.

[lvii]سورة البقرة/ 258.

[lviii]تفسير الامثل، ناصر مكارم الشيرازي 268/2.

[lix] سورة الانعام 76/–78.

[lx]() سورة الانعام /77.

[lxi] البرهان في تفسير القرآن ، السيد هاشم الحسيني البحراني (هـ1107ت) ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية قم، 1/ 388.

[lxii] تفسير الآصفي، الفيض الكاشاني، 378/2.

[lxiii] سورة الانعام/ 79.

[lxiv] سورة الانبياء /52.

[lxv] ينظر: قصص القرآن الكريم، جعفر السبحاني /226.

[lxvi]سورة الانبياء /53.

[xl]أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر ابو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم ، ط:5 2003م، 442/5.

[xli]القصص القرآنية، جعفر السبحاني، مطبعة جواد الائمة، ط 1: 2007م، /3.

[xlii]سورة مريم /41–44.

[xliii] تفسير الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي 456/9.

[xliv]سورة الشعراء/214.

[xlv]سورة مريم /42.

[xlvi]() سورة مريم / 43.

[xlvii]سورة مريم/ 44.

[xlviii] سورة مريم /48.

[xlix]تقريب القرآن إلى الأذهان، محمد الحسيني الشيرازي، ط: 1، 1424 – 2003م، الناشر: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان،3/ 445

[l] مفردات ألفاظ القرآن، حسين بن محمد الراغب الاصفهاني، مطبعة، دار القلم – الدار الشامية – بيروت – دمشق، ط:1 1412، 219/1.

[li]سورة النحل /125.

[lii]سورة البقرة /28

[liii]() هو نمرود بن كنعان من أحفاد سام بن نوح وكان بينه وبين نوح سبعة آباء وكان ملك الشرق والغرب وادعى الألوهية وأمر بعمل الأصنام على صورته ونشرها على بلاده وأمرهم بعبادتها

[lxxxvi]سور الكهف/ 66.

[lxxxvii]سورة الكهف /67.

[lxxxviii]سورة الكهف /68.

[lxxxix]سورة القلم /24.

[xc]سوره الاحزاب/ 21.

[xci]بصائر الدرجات في فضل آل محمد 9، محمد بن الحسن بن فروخ(ت290هـ)، حقيق: ميرزا حسن كوچه باغي، 1404 – 1362 ش، مط الأحمدي – طهران، الناشر : منشورات الأعلمي – طهران، 1/379.

[xcii] سورة الحجر /85.

[xciii] الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي،8/ 206.

[xciv] تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدي،815/4.

[xcv] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، تح عبد الرزاق المهدي، مط دار احياء التراث العربي،4/ 815.

[xcvi]جامع السعادات، محمد مهدي النراقي (ت 1209هـ)، مؤسسة ام ابيها، ط الثانية 1/ 55.

[xcvii]الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي 18/ 381.

[xcviii]سورة القلم/ 4.

[xcix] المصدر نفسه، 381/18.

[lxvii] سورة الانبياء /54.

[lxviii] سورة الانبياء /56.

[lxix] ينظر: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، 82/7.

[lxx] تفسير القمي، أبي الحسن علي بن أبراهيم القمي، 5/2.

[lxxi] تفسير مجمع البيان ،ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي،95/7.

[lxxii]سورة الانبياء /64.

[lxxiii] قصص القر آن الكريم الشيخ جعفر السبحاني ، /25.

[lxxiv] ينظر تفسير القمي، الحسن على بن أبراهيم القمي 1/ 7.

[lxxv]سورة القصص /23.

[lxxvi]سورة القصص/ 26.

[lxxvii]تفسير الامثل، ناصر مكارم الشيرازي ، 216/12.

[lxxviii]سورة غافر /19.

[lxxix] سورة الاعراف، /104.

[lxxx]ينظر: تفسير الامثل ج 8 / 140.

[lxxxi]سورة الشعراء/ 18.

[lxxxii]سورة الاسراء،/ 102.

[lxxxiii]تفسير الميزان، الطباطبائي ، 13/ 116.

[lxxxiv]سورة الكهف، /60.

[lxxxv]تفسير نور الثقلين ، عبد علي بن جمعة (ت .1112هـ)،3/ 270.

8- تفسير القمي، الحسن علي بن أبراهيم القمي ، تح: طيب الموسوي ، مط: دار الكتاب ، ط3 ، قم ، 1404هـ
9- تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (ت1125هـ)، تح حسين دركاهي، نشر مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، ط1، 1411هـ-1991م.
10- تفسير مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548هـ)، تحقيق لجنة من العلماء المختصين والاخصائيين، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط1، 1415هـ -1995م.
11- تفسير نور الثقلين ، عبد علي بن جمعه (ت1112 هـ) ، تح: هاشم رسولي ، مط: اسماعيليان ، ط4 ، 2000م
12- تكمله المعاجم العربية ، ريهارت بتران (ت 1300هـ) ، مط: وزارة الثقافة العراقية ، ط 1 ،2000م
13- جامع السعادات ، محمد مهدي النراقي (ت 1209 هـ) ، مط: مؤسسه ام ابيها ، ط 2 ج 1
14- الجامع لأحكام القرآن ، ابو عبد الله محمد بن احمد القرطبي (ت 671 هـ) ، تح: هشام سمير ، مط دار الكتب الرياض
15- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ)، نشر هجرت - قم، مط دوم، 1409هـ.
16- قصص القرآن الكريم، الشيخ جعفر السبحاني ، ط1، مط دارجواد الأئمة(ع) بيروت
17- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل، ابو القاسم محمود بن عمر

[c] الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي 381/18.

[ci] سورة الحاقة /44-46.

[cii] تفسير الميزان ، العلامة الطبطبائي ، موقع الكوثر 19: 224.

المراجع

* القرآن الكريم

1- الأمثل في تفسر كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ط2، مط دار احياء التراث العربي، (د ت).
2- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، جابر بن موسى بن عبد القادر ابو بكر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم ط 5 ، 2003م
3- البرهان في تفسير القرآن ، السيد هاشم الحسيني البحراني (ت 107 هـ) مط: قسم الدراسات الإسلامية قم ، ط: بلا
4- التبيان في تفسير القرآن ، أبي جعفر الطوسي (ت460هـ) ، تح: أحمد حبيب قيصر ، مط: مكتب الاعلام الإسلامي ، ط1409هـ
5- التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، حسن المصطفوي ، مط: ارشاد اسلامي ، ايران ، ط1
6- التفسير الأصفى، محمد محسن الفيض الكاشاني (ت1091هـ)، تح مركز الابحاث والدراسات الإسلامية، مط مطبعة مكتب الاعلام الإسلامي، ط1، 1418هـ 1376ش.
7- تفسير الصافي، محمد محسن الفيض الكاشاني (ت1091هـ)، تحقيق حسين الأعلمي، نشر مكتبة الصدر، طهران، ط2، 1416هـ.

الدين الجزائري تح: مؤسسة النشر الإسلامي ط 7 .
23- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تح عبد السلام هارون، طبعة القاهرة، الناشر، دار الفكر، 1399هـ.23- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الاصفهاني (ت نحو 502هـ)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، نشر طليعة النور، ط2، 1427هـ.
24- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت 1402هـ)، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د ت).
25- الوافي ،محمد بن شاه مرتضى فيض كاشاني، مط: مكتبة الامام امير المؤمنين علي 8 ، ط1 ، اصفهان 1406 هـ

الزمخشري (ت 538 هـ) تح: عبد الرزاق المهدي ، مط: دار احياء التراث العربي ، ط: بلا ، بيروت
18- لسان العرب، محمد ابن منظور (ت711هـ)، نشر دار صادر – بيروت، ط3، 1414هـ.
19- مجمع البحرين ،فخر الدين بن محمد الطريحي، مط مرتضوي طهران،ط1375،3هـ4:71
20- المدخل الى فقه المعاملات المالية ، د محمد عثمان شبير، مط: دار النفائس ، ط 2
21- مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد ، محمد بن الحسن الطوسي ، مؤسسة فقه الشيعة ، ط1 بيروت 1411 هـ
22- معجم الفروق اللغوية ، الحاوي لكتاب ابي هلال العسكري وجزء من كتاب السيد نور